

إلى أن العرب عرفوا ديوانا آخر غير الشعر، هو «السرد»⁽⁴⁾. ويهمنا في هذه الفصل أن نتساءل عن السرد العربي بوجه عام، ونتخذ السيرة الشعبية، باعتبارها نوعا سرديا، نموذجا خاصا للسؤال والتحليل والمعاينة.

1.3. الكلام العربي:

1.1.3. نتحدث الآن عن أجناس الأدب وأنواعه. لكن قبل العصر الحديث لم يكن من الممكن الحديث عن الأدب بالشكل الذي نستعمله اليوم. لقد كانت له معان متعددة، تتسع أحيانا لمختلف أشكال القول والفعل، وتضيق أحيانا لتتخصص في أحد مشتقاته، ويوصف بها مبدع في أحد مجالات الإبداع اللفظي. وفي الحالتين معا، لم يكن لمفهوم الأدب المعنى الذي يأخذه الآن. ولم يكن هذا الوضع مقتصرًا على العربية وحدها، إذ نجد المشتغلين بالأدب اليوم في الغرب يرون أيضا أن مفهوم الأدب حديث جدا، وأنه وليد القرن التاسع عشر.⁽⁵⁾

يتخذ مفهوم الأدب، في الاستعمال الجاري اسم الجنس الذي يستوعب مختلف الممارسات اللفظية ذات الخصائص المميزة عن نظيراتها في الحياة اليومية والعلمية. لذلك حين يهتم الباحثون بدراسته من حيث هو جنس، ينسون مختلف ما يتصل به إليه سواء تعلق الأمر بأجناسه وأنواعه وأنماطه أو سواها من الأصناف. أما عندما نريد الآن أن نبحث في الأجناس والأنواع القديمة، ويتعلق الأمر في حالتنا بالسيرة الشعبية، فعلى أن نجد اسم الجنس الذي يستوعب مختلف الممارسات اللفظية الفنية، ونبحث مختلف صورته الجنسية في مرحلة، وفي أخرى نرصد الأنواع التي تنضوي تحت كل منها، وهكذا...

إن اسم الجنس الجامع الذي اهتم به العرب القدامى، ووصفوا به مختلف الممارسات اللفظية، وميزوا أنواعها وخصائصها هو مفهوم «الكلام». وعلى أن ننطلق من هذا المفهوم لرصد كيفية تحديد القدامى لأجناسه وأنواعه. ونعيد التفكير فيه بمنظور جديد يمكننا من ملامسة مختلف تجسدهات وتحققاته، بالنظر إلى هذا «الكلام» في حد ذاته، وبعيدا عن مختلف الملابس التي جعلت القدامى يقبلون بعضه (النص)، ويرفضون بعضه الآخر (اللانص). لأن هذه الملابس تغيرت من جهة، ولأننا من جهة ثانية نريد أن نعيد النظر في «الكلام» العربي من